



التجربة التركية
في تحصين الشباب
من الغلو

د. أكرم كلش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التجربة التركية في تحصين الشباب من الغلو

د. أكرم كلش

رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية - الجمهورية التركية

توطئة

أود أن استهل كلامي بتحية العلماء الافاضل وعلى رأسهم شيخنا الفاضل العلامة يوسف القرضاوى بسبب تشريفهم استانبول وأنا اتشرف بإفادة فرحتنا لحضور مشايخنا فى تركيا - فى بلدهم - وأقدم شكرى و تقديرى للأمانة العامة بإقامة الدورة السادسة والعشرين بمركز من اهم مراكز الحضارة الاسلامية فى فترة صعبة يواجه فيها المسلمون آلاما ومآسى لا تحصد دماء الأبرياء من الأطفال والنساء والمظلومين فحسب بل تستهدف وتهدد أيضاً الدين الإسلامى الذى نشر الرحمة والرفقة والعدل فى الأرض من أجل كل البشرية وهذا التهديد بدأ يضع امامنا آثارا سلبية مثل عدم المبالاة بالقيم الدينية والابتعاد عنها بدون شعور وتنتشر هذه الظاهرة بين الشباب فى العالم - ومن ضمنها الشباب التركى - كما نبه عليه بعض مشايخنا فى الآونة الأخيرة فى حين أننا نحس فى اعماق قلوبنا حزن كل شاب مسلم ضيعناه بسبب الغلو او بأسباب اخرى فى العالم الاسلامى أو الغرب ولذلك يجب على علمائنا وأمرائنا تحصين الشباب من الانحراف بصيانتهم من الغلو والعنف والإرهاب والتطرف.

الموضوع

كلّفتني الاستاذ حسين حلاوة الأمين العام بإعداد بحث تحت عنوان «التجربة التركية في تحصيل الشباب من الغلو» مضيفا الى هذا العنوان «أسباب النجاح» - ولا يسعني في هذه اللحظة إلا أن أدعو الله عز وجل أن يجعل الشباب التركي على هذا الظن الحسن مع كل الشباب المسلم - فامتثالا لهذا التكليف أقدمت على عرض بعض الكلمات أمام أصحاب الفضيلة من قبيل جهد المقل راجيا من مشايخنا تصحيح الأخطاء المحتملة فيها علميا أو فكريا أو لغويا.

المدخل:

إذا قارنا ظاهرة الغلو والتطرف في تركيا بالعالم الإسلامي يمكننا القول بأن هذه الظاهرة فيها منخفضة نسبيا ولعل السبب يعود إلى أن مقومات التراث التاريخي ومؤسساته لا تساعد انتشار التطرف فيها.

والفهم الديني والمذهبي والتصوفي والمدرسي وتجربة التعايش بين متبعي الأديان والمذاهب المختلفة منذ العهد العثماني، ووجود رئاسة الشؤون الدينية التي أسست في عهد الجمهورية وكليات الإلهيات (أصول الدين)، وثانويات الأئمة والخطباء، والمواد المقررة المتعلقة بالدين في سائر المدارس وكل هذه أسهمت في انخفاض نسبة الغلو والتطرف الديني أو انتشاره في تركيا. ونود أن نتطرق فيما يلي إلى أسباب قلة الغلو والتطرف في تركيا بالنسبة لسائر البقع الإسلامية:

1. تعليم الدين في إطار محدد ومعهود في منهج مقبول تاريخيا

ومما لا شك فيه أن تحديد المنهج في تعليم الدين له أهمية قصوى في الحياة الفردية والاجتماعية. وإذا لم يمكن أن يعيش الإنسان حياة سعيدة بدون دين إذن فلا بد من تعليم الدين في إطار صحيح، والمنهج المتبع في التعليم الديني كما يمكن أن يؤدي إلى إنشاء فرد مسلم كامل في إيمانه وخلقه بحيث يمثل أوامر الله في كل حياته ويحيطه الدين من جميع جوانبه ويمكن أن يؤدي أيضا إلى إنشاء فرد يظن أنه يمثل تعاليم دينه ولكنه في الحقيقة بعيد عنها كل البعد.

والمنهج المتبع في التعليم الديني في تركيا - رغم ضعفه - له دور ملحوظ في إنشاء فرد مسلم يحترم حقوق الآخرين ويرى أن لغيره حقا في تبني أي مذهب يريده. وتبدأ التربية

الدينية - التي من أهم خصائصها التسامح - في الأسرة التي تلقت التربية نفسها عن سلفها وسلفها كان يعيش مع جار متدين بدين آخر أو متمذهب بمذهب آخر، والتعايش مع الآخر والتعامل معه رغم تفكيره وسلوكه بطريق آخر جعل الجيل الناشئ بعيدا عن التطرف يمشي في طريق مستقيم بدون ميل إلى هنا وهناك. و من الممكن ان يشاهد نفس الوضع في كثير من البلاد الاسلامية.

2. التمدد بمذهب معين والتمسك به

وأهم ميزة في التعليم الديني في تركيا منذ العهد الدولة العثمانية التمسك بمذهب معين وهو المذهب الحنفي عموما والمذهب الشافعي في جنوب شرق البلاد خصوصا، وهذا لا يعني أن الناس يعتقدون أن الإسلام عبارة عن مذهبهم فقط بل يرون أن جميع مذاهب أهل السنة والجماعة حق، ولا يعني أيضا أن العلماء لا يرجعون إلى المذاهب الأخرى في مراحل دراستهم وحين الحاجة في الإفتاء.

وتعلم الأحكام الدينية بطريق المذهب المعتمد على مبادئ أصولية في فهم النصوص والتعامل معها بنظرة شمولية يجعل الشاب التركي لا يرجع إلى النصوص مباشرة في الاحكام الدينية وهو في الحقيقة لا يملك قدرة علمية ولغوية بحيث تؤهله لأن يجمع جميع النصوص المتعلقة في مسألة معينة ويفهمها كما هو اللائق فهمه، ولا يستطيع أن يرجع إلى سلف الأمة كي يستوعب كيف فهموا النصوص وكيف طبّقوها؟ وبدلا من المراجعة الناقصة إلى النصوص واستخراج الأحكام بدون أهلية علمية يتمذهب الشاب بالمذهب الحنفي ويؤدي أوامر دينه وفق ما فهمت المدرسة الحنفية منذ ثلاثة عشر قرنا.

ومع هذه الظاهرة أي ظاهرة التمدد بمذهب معين بدأ في الآونة الأخيرة في تركيا تيار ينتشر وهو تيار غير معهود عند الشعب أصلا ويقول: إن التمدد بمذهب معين غير جائز وعليكم أن ترجعوا إلى النصوص مباشرة في صلاتكم وصيامكم وفي أمور دينكم كله بما فيها أحكام الجهاد، ويقول أحدهم: تعالوا أصلي بكم صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يدري أن ما يدعيه من أنه صلاة النبي هو ما فهمه من النصوص بقدر فهمه واطلاعه فقط أو فهم من اقتدى به فحسب، ولا يتنبه إلى أن أي مذهب فقهي سواء كان المذهب الحنفي أو غيره هدفه الوصول إلى فهم صحيح وشامل ومحيط بكيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الفهم المذهبي ليس مقتصر على رأي إمام من أئمة المذاهب بل فهم قد أقره فطاحل العلماء وصار كل مذهب مدرسة أسهم في تكوينها وتطورها فطاحل العلماء. وأدهى من ذلك وأمر أن بعضا منهم يتحدث في أمر يهم المجتمع حتى الأمة جميعا كأحكام الجهاد

وغيرها وهو أمر لو حدث في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع كبار الصحابة. وهذا كله جعل العلماء في تركيا يهتمون بتعليم أحكام الدين من خلال المذاهب وإرشادهم إلى أن استنباط الأحكام من القرآن وكتب السنة النبوية ينبغي أن يكون مقتصرًا على من عنده أهلية علمية فقط.

أود أن أضيف هنا أن التمدب -في تركيا- الذي نرى أن له إسهاما كبيرا في تحصين الشباب من التطرف كما هو جار في الأحكام الفرعية أي الفقهية جار أيضا في الأحكام الأصولية أي الاعتقادية. ومن المعلوم: أن معظم الأحناف ماتورديون في الاعتقاد، ويتم تعليم الأحكام الاعتقادية في تركيا بطريق رسائل صغيرة تحتوي المبادئ العامة المتعلقة بالإيمان وأهم ما فيها:

عدم تكفير أحد من أهل القبلة،

وعدم قبول العمل جزء من الإيمان،

وعدم الإسراع بحكم خروج أحد من المسلمين عن الدين بإثم ارتكب،

ولا ندعي أن هذه المبادئ موجودة في المدرسة الماتوردية فحسب بل هي مبادئ أُقرت من جميع السلف ولكن تعلم المبادئ الإيمانية بطريق العلماء والمتكلمين لا يجعل الشاب يحس أنه في حاجة إلى المراجعة إلى النصوص بنفسه، ويجعله يفهم أسس دينه كما فهمها الكبار من العلماء عبر القرون.

3. التجربة العثمانية والحرية الدينية والفكرية

إن المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا قد أثبتوا للعالم جميعا الطريق السليم في كيفية التعايش مع الآخرين بغض النظر عن التطبيقات الفردية والموقفة هنا وهناك خصوصا بعد دخول الاستعمار في البلاد الإسلامية. ويمكن أن تعتبر التجربة العثمانية أحسن أنموذج في جعل الناس من مختلف الأعراق والأديان والمذاهب عاشرين تحت حكم دولة واحدة تحكمها الشريعة الإسلامية. وهذه التجربة أكسبت مسلمي تركيا التسامح مع الآخرين وجعلهم يذكرون دائما أن أجدادهم قد حكموا في القارات الثلاثة بعدل وتسامح بحيث عاش الناس في ظل حكمهم من عناصر مختلفة تبلغ إلى عشرات الأعراق ومن أديان مختلفة، وهم يرددون دائما مفتخرين بقول بطريق الروم ورهبانهم قبل

فتح محمد الفاتح إسطنبول: «نحن نفضل أن نرى عمامة المسلمين بدلا من أن نرى تكية اللاتينين» وهذا القول منهم إن دل على شيء فإنه يدل على إتاحة المسلمين للآخرين فرصة للتعامل بموجبات دينهم وحرية التفكير بحيث لم تصل البشرية إلى عُشرها بدلا من أن تصل إلى كاملها.

4. الطرق الصوفية

ومن أهم الوسائل التي أسهمت في تحصين الشباب الأتراك من التطرف هو تواجد بعض الطرق الصوفية التي كان شيوخهم من العلماء في تركيا رغم بعض التبدلات السلبية في العقود الأخيرة بسبب الجهل. ومع الأسف الشديد بهذا الجهل ضاع عند الناس قيم إسلامية كثيرة.

ومن المعلوم تاريخا أن للصوفية دورا مهما وحيويا في إسلام الأتراك، وإن الدولة العثمانية قد استخدمت الصوفيين في إسلام الناس وكانت ترسل إلى بلاد غير إسلامية العلماء الصوفية لينشروا الإسلام هناك وتؤيدهم بكل ما يلزم. ومنذ ذلك الحين بدأت الطرق الصوفية تنتشر في أرض أناضول وكانوا ملتزمين بحدود الإسلام. ومن المعلوم أيضا أن الصوفيين كانوا معروفين بالتسامح والتواضع والخلق الحسن وهم أكثر الناس رفقا بالآخرين؛ بحيث يرى أحدهم غيره أفضل منه ولا يوجد عندهم ظاهرة التفسيق فضلا عن التكفير، وأستاذهم يرشدهم إلى الرحمة بالمخلوقات جمعاء حتى شاعت عندهم المقولة المشهورة: «أحب المخلوق من أجل الخالق»، وهذه الحكمة قد استقرت في قلوبهم، وبعد هذا كله هل يتصور أن يخرج منهم من يقتل مسلما بريئا أو صبيا أو شيخا بتهمة الشرك؟

ويبقى هنا بالنسبة للصوفية في تركيا شيء واحد وهو تصحيح ما كان عندهم من الأفكار الخاطئة وإزالة البدع الموجودة وتعليمهم دينهم موافقا للكتاب والسنة وسلوك الصحابة والزاهدين.

5. وسائل تدريس العلوم الإسلامية والمدارس للتدريس

من المعروف عند أصحاب الفضيلة أنه كانت في تركيا فترة صعبة من جهة التدريس الإسلامي وتعليمه وانقطاع يستوعب عقودا بعد الغاء الخلافة وإعلان الجمهورية وبعد هذا الانقطاع بدأ التدريس الديني والتعليم بخطوات متواضعة بفتح مدارس الأئمة والخطباء/ ثانوية الأئمة والخطباء و مدارس تحفيظ القرآن الكريم ثم المعاهد الإسلامية وعددها

كانت ثمانية ثم بعدها كليات الالهيات ومراكز التخصص للعلوم الاسلامية مع اننا مدرسين
عدم كفايتها

وفي المرحلة التي وصلنا اليها يتم تدريس العلوم الإسلامية بتركيا عبر المدارس الحكومية
والنظامية بما فيها مدارس الأئمة والخطباء وكليات الإلهيات وتوجد بجانب هذه المدارس
المدارس التقليدية الموجودة في شرق تركيا ولو كان عددهم قليلا. وأغلبية هذه المدارس
تعمل تحت مراقبة الدولة والدولة تشرف عليها بطريق رئاسة الشؤون الدينية ووزارة التعليم
والتربية ولا يوجد في تركيا مدرسة أو محل يتم التدريس فيه بطريق مستقل ومنفصل عن
مراقبة الدولة؛ نعم مراقبة الدولة وإشرافها على تدريس العلوم الإسلامية لها طرفان لأنه إذا
كانت من تسوس الدولة من كان عندهم الوازع الديني يصبح هذا الإشراف مفيدا وبالعكس
من الممكن ان يصبح الإشراف حجرا وضيقا على المسلمين. وعلى كل حال أن للمدارس
دور مهم في تحصيل الشباب عن الغلو والتطرف.

6. رئاسة الشؤون الدينية التركية

ومن أهم العوامل التي تساعد الحفاظ على الشباب وتحصيلهم من الغلو والتطرف هو
وجود رئاسة الشؤون الدينية في تركيا؛ ويعني وجودها أن جميع المساجد ومؤسسات تعليم
وتحفيظ القرآن تؤدي عملها تحت إشراف الرئاسة، ويتم تعيين الأئمة والخطباء بطريقتها
وهي تختار من يناسب أن يكون إماما ومؤذنا في المساجد، وتهتم أن يكون الموظفون من
أهل السنة والجماعة أولا وممن لا ينتمون إلى جماعة متبنية أفكارا شاذة ومتطرفة ثانيا.
وتعطيهم راتبا فيه كفايتهم ولا يحتاج أحد منهم إلى أن يميل بطريق منحرف لكسب دنياه.
وبهذا التنظيم يمكن القاء نفس الخطبة في يوم جمعة في كل مساجد تركيا

والرئاسة بما فيها من المديرات العامة التي تلبى جميع ما يحتاج إليه المسلمون في حياتهم
الدينية تملأ فراغا في المجتمع بحيث يجب أن لا يملأه أفراد مستقلون لهم أفكار خاصة بهم،
وبعض هذه الأفكار تؤدي غالبا إلى خروج شباب يكفر أباه وأمه وأسرته ويعدّهم مشركين ثم
يبيح دمهم وعرضهم. وبفضل الرئاسة - بعد فضل الله سبحانه وتعالى - يهتم بالتعليم الديني
بطريق صحيح وقويم، ويتم تقديم الخدمات الدينية بطريقة صحيحة أيضا. ويقوم المجلس
الأعلى لرئاسة الشؤون الدينية الذي حل محل أمانة الفتوى عند المشيخة الإسلامية في
العهد العثماني بمعالجة القضايا الفقهية والإيمانية المستجدة بما يملك من الثروات العلمية

المتراكمة منذ العقود الطويلة وهذا المجلس يتناول المسائل بأصول معتبر مستخدم من قبل الفقهاء مستفيدا بما ترك الأوائل بجميع مدارسها.

لا شك أن كل ما يقوم به المجلس يساعد في تحصين الشباب من الذهاب إلى هنا وهناك ومن أن يكونوا صيدا لمن لا يريدون للإسلام والمسلمين خيرا.

وأخيرا أود الإفادة ان من أهم الطرق الفعالة / المؤثرة في تحصين الشباب من الغلو هو تأمين اعتماد الشباب على أمرائهم وعلمائهم واعتقادهم أن العلماء والأمراء يهتمون بأمور المسلمين ولا يتجاهلون معاناتهم ومشاهدة الشباب أن الأمر هكذا حقا وخير مثال على ذلك الوضع الحالي في بعض الدول الإسلامية حيث يعتمد الشباب المسلم على علمائهم وأمرائهم ولهذا الاعتماد أثر ايجابي في صيانة الشباب من الغلو ولو لم يعتمد الشباب التركي في تركيا في الوقت الراهن على امرائه مثلا في الآونة الاخيرة فكان من الصعب تحصين الشباب التركي من الميل إلى التطرف في هذه الفترة وخاصة في منطقة محاطة بالمنظمات الإرهابية في جميع أنحاء.

فندعو الله عز وجل ان يحفظ الشباب من البلايا و الفتن و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه اجمعين

ومن اهتدى بهديهم الى يوم الدين.